

أهداف الدرس

1. أن أتعرف قصة توبة كعب بن مالك رضي الله عنه.
2. أن أستخلص أهم العبر والدروس من هذه القصة.
3. أن أتحرى الصدق في أحوالي ومواقفي كلها.

تمهيد

قصة توبة كعب بن مالك - رضي الله عنه - من القصص الرائعة التي خلد القرآن الكريم ذكرها، وفصلت السنة النبوية أحداثها، واعتنى أهل السيرة ببيان سياقاتها وما تضمنته من أحداث مشوقة ومواقف عظيمة وقيم تربوية.

فما سياق هذه القصة؟ وما الدروس والعبر المستفادة منها؟

النصوص

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ الثَّلاثَةَ الْغَيْثَ خُلُوعًا حَتَّى إِذَا ضَافَتْ عَلَيْهِمُ الْآرُضُ مَا رَحَبَتْ وَضَافَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ وَكُفُّوا أَلْأَلَّ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝١١٩﴾ يَا أَيُّهَا الْغَيْثُ آمِنُوا بِتَفْوِئِ اللَّهِ وَكُونُوا مَعَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٠﴾

[التوبة: 119 - 120]

الفهم

الشرح:

إِنِّي أَخْرِجُ خُلُوفًا: لم يخرجوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك.

صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ: شعروا بضيق شديد بعد أن هجرهم وقاطعهم الجميع.

لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ: لا مُنْجِي مِنَ الْعَذَابِ وَلَا مَفْرَجَ لَهُمْ إِلَّا اللَّهُ.

استخلاص المضامين:

1. من هم الثلاثة الذين خُلفوا في الآيتين؟
2. أخرج من الآيتين وصف حالهم وعاقبة أمرهم.
3. أعدد الأخلاق والقيم التي تحت عليها الآيتان.

التحليل

أولاً: سياق قصة توبة كعب بن مالك وصاحبيه

لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك إلى المدينة، جاء من تخلف عنه يعتذرون إليه، وهم ثمانون رجلاً، فقبل النبي ﷺ أعذارهم، ووكل سرائرهم إلى الله، إلا فئة من المؤمنين صدقوا رسول الله ﷺ، وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع الأوسي، وهلال بن أمية الواقفي الأنصاري -رضي الله عنهم-، قال كعب بن مالك رضي الله عنه في حديثه: «فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ قال: قلت: يا رسول الله، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذبٍ ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسطرك عليّ، ولئن حدثتك حديث صدقٍ تجد عليّ فيه، إني لأرجو فيه عقبي الله، والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، قال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد

صدق، فقم حتى يقضي الله فيك ...، قال: ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، قال: فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكثت لي في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة....، ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله - عز وجل - منا، قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر..».

[صحيح مسلم: كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه]

ثانياً: دروس وعبر من قصة توبة كعب بن مالك

تضمنت قصة توبة كعب بن مالك - رضي الله عنه - وصاحبيه أعظم المعاني الإيمانية، والمشاعر الصادقة والمواقف الثابتة الدالة على حقيقة الصدق وثمراته ونتائجه، وأهمها:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْآيَاتِ إِلَّا إِلَهُكُمُ﴾ [التوبة:

119]. وقال كعب بن مالك - رضي الله عنه -: «والله لقد

علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني،

ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق

تجد علي فيه، إني لأرجو فيه عقي الله..».

[صحيح مسلم: كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه]

الاعتصام بالله،
واستحضار مراقبته،
ورجاء عفو.

«فلما قيل لي: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادما، زاح عني الباطل حتى عرفت أنني لن أنجو منه بشيء أبدا، فأجمعت صدقه.... فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق...حتى جاءني نبطي من نبط أهل الشام، فدفعت إلي كتابا من ملك غسان، وكنت كاتباً فقرأته، فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة، فالحق بنا نواسك، قال: فقلت حين قرأتها: وهذه أيضا من البلاء، فتياممت بها التنور فسجرتها بها».

الاستمساك بالدين
والثبات على المبادئ
بعزيمة وإصرار.

[صحيح مسلم: كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه]

قال كعب: «قلت: يا رسول الله، إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت، قال: فوالله ما علمت أن أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا أحسن مما أبلاني الله به، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإنني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي».

الصدق في الحديث
والتوبة، والوفاء بعهد
الله ورسوله ﷺ

[صحيح مسلم: كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه]

ثالثاً: أهتدي وأقتدي

أتحرى الصدق في اعتقادي وكلامي وعملي ومواقفي، استجابة لله تعالى القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّالِّينَ﴾ [التوبة: 120]، ولرسوله ﷺ القائل: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»

[صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله].

التقويم

1. ما الذي ميّز كعب بن مالك وصاحبيه عن باقي المخلفين؟
2. ما الخلق الذي كان سبب نجاة كعب بن مالك وصاحبيه؟
3. أستثمر مكتسباتي من قصة توبة كعب بن مالك - رضي الله عنه-، ثم أملأ الجدول الآتي بما يناسب بعد نقله في دفثري:

القيم والمواقف	شواهدا من القصة
محبة الله ورسوله ﷺ	
	« فكنت أخرج فأشهد الصلاة »

القيم والمواقف	شواهدا من القصة
الصبر والثبات عند نزول الشدائد	
	فقلت: «يا نبي الله، إن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا»
مراقبة الله في السر والعلن	

الاستثمار

قال الإمام الباقي - رحمه الله - في وصيته لولديه: «وعليكما بالصدق؛ فإنه زين، وإياكما والكذب؛ فإنه شين. ومن شهِرَ بالصدق فهو ناطق محمود، ومن عرف بالكذب فهو ساكت مهجور مذموم. وأقل عقوبات الكذاب ألا يُقبل صدُّقه، ولا يتحقق حقه. وما وصف الله تعالى أحداً بالكذب إلا ذاماً له، ولا وصف الله تعالى أحداً بالصدق إلا مادحاً له ومرفعاً به. وعليكما بأداء الأمانة، وإياكما والإلمام بالخيانة، أدِّيا الأمانة إلى من ائتمنكما، ولا تخونا من خانكما، وأوفيا بالعهد؛ ﴿إِنَّ الْعَمْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 34]». [الوصية الوليدية: وصية أبي الوليد الباقي لولديه ص 12-13].

تأمل كلام الإمام الباقي - رحمه الله -، وأستخرج وصايا لولديه، ثم أملأ الجدول الآتي بما يناسب - بعد نقله في دفترتي -:

الأخلاق والصفات	محمودة / مذمومة	آثارها على الفرد والمجتمع

الإعداد القبلي

أبحث في كتب السيرة النبوية عن أحداث عام الوفود.